1

مدخل إلى علم الجريمة
Introduction to Criminology

أهداف التعلم

1.1 تعريف علم الجريمة ومناقشة ظهور علم الجريمة كعلم.

2.1 تحديد الأنماط الثلاثة من الأعراف عند سومنر.

3.1 مناقشة كيف يمكن أن تتغير تعريفات الجريمة في القانون وعلاقتها بالتغير الاجتماعي.

4.1 تفسير تأثير القانون الجنائي على تعريفات الجريمة.

5.1 وصف التأثيرات الاقتصادية للجريمة.

«تخيَّلْ مجتمعًا من القديسين، يعيشون في الدير .. دير مثالي للأفراد المثاليين، الجرائم التي يطلق عليها جرائم، ستكون غير معروفة، ومن ثم فإن العيوب التي تبدو عظيمة للشخص العادي ستخلق هناك الفضيحة ذاتها؛ التي تحدثها الجريمة العادية في الوعي العادي.

Emile Durkhaim (1895/1950 pp 68-69)

الجريمة: عمل اجتماعي سياسي من صنع الأنسان، وليست ظاهرة طبيعية. . . يمكن أن يكون لدينا قدر كبير أو ضئيل من الجرائم كما يحلو لنا، اعتمادًا على ما نختار اعتباره سلوكًا إجراميًّا.

Herbert Packer (1968, p. 364)

علم الجريمة Criminology

خطف الإرهابيون المتوحشون أربع طائرات ونجحوا في تحطيم مبنى التجارة الدولية والبنتاجون، وقتلوا ما يقرب من 3000 في أسوأ هجوم إرهابي في التاريخ. أطلق رجل النار على 58 شخصًا ذاهبين لحضور حفلة موسيقية في الدور 32 في منتجع و(كازينو ماندلي با) في أسوأ جريمة قتل جماعية في تاريخ الولايات المتحدة. تأمرت الشركات الكبرى وشركات المحاسبة الخاصة بها وسببت هبوطًا كبيرًا في سوق الأوراق المالية، ممّا أدى إلى فقدان المساهمين مليارات الدولارات.

القاسم المشترك بين كل هذه الأحداث هو أنها تشير إلى أشكال مختلفة من السلوك الإجرامي. ونظرًا لأننا بدأنا للتو القرنَ الحادي والعشرين، لا يسعنا إلا تخمين ما ينتظرنا من أهوال جديدة غير متوقعة. المجال الذي يعالج هذه القضية من الجريمة والسلوك الإجرامي ومحاولات تعريفها، وشرحها والتنبؤ بها، هو علم الجريمة.

علم الجريمة. الدراسة العلمية للجريمة والسلوك الجرمي.

الجريمة: خرق القانون الجنائي.

يُعرَّف **علم الجريمة** عمومًا بأنه: العلم أو الحقل الذي يدرس **الجريمة** والسلوك الإجرامي. وعلى وجه التحديد، يركز مجال علم الجريمة على أشكال السلوك الإجرامي، وأسباب الجريمة، وتعريف الإجرام، وردِّ الفعل المجتمعي على النشاط الإجرامي. وقد يشمل مجالات التحقيق ذاتَ الصلة بجنوح الأحداث وعلم الضحايا (دراسة الضحايا). وعلى الرغم من التداخل الكبير بين علم الجريمة والعدالة الجنائية، يُظهر علم الجريمة اهتمامًا أكبر بالتفسيرات السببية للجريمة، في حين أن العدالة الجنائية مهتمة أكثر بالجوانب العملية والتطبيقية، مثل الجوانب التقنية للشرطة والإصلاحيات. في الواقع، المجالات مكملة لبعضها ومترابطة؛كما يتضح من تداخل العضوية في المنظمتين المهنيتين الممثِّلتين للمجالين: الجمعية الأمريكية لعلم الجريمة، وأكاديمية علوم العدالة الجنائية.

إذا أخبرت أصدقاءك أنك تأخذ دورة في علم الجريمة فسيفترض الكثيرون أنك ستكون شرلوك هولمز، في طريقك لتصبح محققًا رئيسًا مدربًا على التحقيق في مسرح الجريمة. يصف ذلك مجال الجنائيات (التقييم العلمي للأدلة المادية) والذي يُخلَط أحيانًا في وسائل الإعلام وعقل الجمهور مع علم الجريمة. يهتم علم الجريمة بشكل أكبر بتحليل ظواهر الجريمة والإجرام، وفي إجراء دراسات دقيقة علميًّا، وتطوير تفسيرات نظرية سليمة للجريمة والسلوك الإجرامي. ومن المأمول أن تتمكن المعرفة الجنائية والبحث العلمي من تزويد السياسات العامة وتوجيهها لحل بعض مشاكل الجريمة. يُعنى علم الجريمة يُعنى بتحليل ظاهرة الجريمة، والتركيز الرئيس في هذا الكتاب على المجالات المركزية للسلوك الإجرامي، ومنهجية البحث العلمي، ونظرية الجريمة. ومن الأمور ذات الأهمية الخاصة استكشاف أنماط الجريمة، ومحاولة تصنيف مختلف الأنشطة الإجرامية والمجرمين وفق النوع.

الصورة 1.1

صورة جماعية لفرقة خمور في قسم الشرطة متنكرين مع حالات مصادرة الكحول ومعدات التقطير أثناء الحظر.

البدع والموضة في الجريمة
Fads and Fashions in Crime

كانت مجموعة متنوعة من الجرائم مصدر قلق كبيرًا في الماضي ولكنها لا تظهر في المجتمعات الحديثة إلا في الأفلام القديمة في العرض المتأخر: سرقة القطار، والقرصنة، وسرقة العربات، وسرقة الماشية، والمعارك بالأسلحة النارية مثل تلك الموجودة في حظيرة O.K. والسطو على القبور نهمًا ببعض البقايا الحديثة ولكن معظمها اختفى. عادت بعض هذه الممارسات إلى الظهور بأشكال مختلفة. ففي السبعينيات حاول «ركاب القوارب» الفيتناميين الجنوبيين الذين حاولوا الفرار من وطنهم، سلبوا واغتصبوا وقتلوا من قبل قراصنة تايلانديون.

وفي أواخر سبتمبر 2017، هاجم قراصنة سفينة ركاب في المياه النيجيرية، ممّا أسفر عن مقتل شخصين. وحلت شاحنات (برينك) محل عربات الجياد، وتم اختطاف نصف مقطورة مليئة بلحوم البقر الجاهزة بدلًا من قطعان الماشية الحية. اختفت عصابات ما بعد الحرب الأهلية من لصوص الغرب المتوحش مثل دوك هوليدي، وجيسي جيمس ودالتونز، وبلاك بارت، والأخوين الأصغر وبوتش كاسيدي مع تسوية الحدود فقط لتظهر مرة أخرى على عجلات خلال فترة الكساد في الثلاثينيات شخصيات مشهورة مثل جون ديلنجر «بريتي بوي» فلويد، وباروز، وبوني باركر، وعصابة ما باركر. وتلاشت والعصابات المتنقلة المنظمة من لصوص البنوك إلى حد كبير في تاريخ غريب وبغيض. واستُبدل بهم الآن مجرمو الإنترنت الذين يمكنهم ارتكاب سرقة إلكترونية عالمية.

كان اختطاف الطائرات مشكلة رئيسة في الستينيات، وتم القضاء عليها كنتيجة لتحسين ظروف الأمن، لتظهر مرة أخرى في الولايات المتحدة فقط في أوائل الثمانينيات كمحاولة الكوبيين اللاجئين الهروب من وطنهم ولو بواسطة إرهاب انتحاري لإحداث دمار شامل. ويمثل اختطاف طائرات جامبو الأربع بقصد استخدامها كأسلحة للإرهاب الدولي في أحداث 11 سبتمبر المروعة. يُعد الخطف مصدر قلق كبيرًا في الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن العشرين؛ كما هو موضح في (قضية ليندبيرج الشهيرة). لا يشكل الخطف مصدر قلق اليوم على الرغم من التهور في اختطاف الأطفال من قبل الوالدين غير الأوصياء. ومن ناحية أخرى، صار الاختطاف منذ السبعينات جريمة كبرى في إيطاليا؛ كما يتضح من عملية اختطاف الملياردير حفيد جيه بول جيتي التي حظيت بتغطية إعلامية كبيرة؛ أرسل الخاطفون إحدى آذان الشاب بالبريد إلى جريدة يومية. لإقناع الأسرة بجدية نياتهم. تم تحويل قصة الاختطاف مؤخرًا إلى فيلم بعنوان(All the Money in the World)، والذي تم إصداره في عام 2017. وفي عام 1995 في كولومبيا، تم الإبلاغ عن عملية اختطاف كل 6 ساعات. وكان يُعتقد أن هذا قد عجل بالتفاوتات الهائلة في الدخل وعدم كفاءة الشرطة. وعلى النقيض من ذلك، شهدت الولايات المتحدة أقل من 12 حالة اختطاف من أجل الحصول على فدية كل عام (Brooke, 1995) ولا يزال الرق يُمارس على شكل اتجار بالبشر. تميل آراء الحنين إلى الماضي إلى إضفاء الطابع الرومانسي على العنف القديم أو قمع ذاكرته. والأكثر قابلية للنسيان ظروف الماضي التي تتطابق أكثر مع أي قصة لأهوال الحاضر.

يفحص ملف الجريمة 1.1 قائمة مكتب التحقيقات الفيدرالي «العشرة الهاربون الأكثر طلبًا» ويتضمن صورًا للمجرمين المطلوبين.

ظهور علم الجريمة The Emergency of Criminology

يرى عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت (1798-1857) أن **تقدم المعرفة** تاريخيًّا مر في ثلاث مراحل من التفسيــرات في الغالب: من التفسيرات اللاهوتية إلى الميتافيزيقيا إلى التفسيرات العلمية (Comte, 1851/1877). قبل ظهور القانون الجنائي الحديث في القرن 18، كان الدين هو أساسَ الضبط الاجتماعي. واستخدمت التفسيرات الدينية أسسَ ما فوق الطبيعة أو غيرها لفهم الحقيقة. لنتذكر على

تقدم المعرفة. ترى نظرية كونت أن المعرفة تطورت تاريخيًا من اللاهوتية إلى الميتافيزيقية إلى العلمية.

ملف الجريمة 1.1 Crime File
أكثر 10 مطلوبين هاربين وفقًا لمكتب التحقيقات الفيدرالي

في عام 1950، سأل مراسل صحفي مكتب التحقيقات الفيدرالي عن أسوأ 10 «رجال قاسون» كانوا يطاردونهم. كانت الدعاية الناتجة كبيرة جدًّا لدرجَة أن القائمة أضحت برنامجًا رسميًّا لمكتب التحقيقات الفيدرالي. أشبع جوع الجمهور بتفاصيل حول المجرمين سيئي السمعة وكانت بمثابة وسيلة لفضح الهاربين وتشجيع مشاركة المواطنين.

ادّعى مكتب التحقيقات الفيدرالي أنه منذ بدء البرنامج، تم القبض على 6 من «المطلوبين العشرة الهاربين» نتيجة لتعاون المواطنين. ربما كانت الحالة التي لا تنسى هي إلقاءَ القبض على سارق البنك ويلي ساتون عندما تعرف عليه بائع ملابس في مترو أنفاق مدينة نيويورك. بعد نشر قصة المواطن في صحيفة نيويورك تايمز، قتل رجل العصابات ألبرت أناستاسيا؛ البائع لأنه كما قال «يكره المتسكعين».

تعكس القائمة بشكل جيد للغاية المناخَ الاجتماعي لفترات زمنية مختلفة في الولايات المتحدة. تألفت قائمة الخمسينيات في المقام الأول من لصوص البنوك، ولصوص السيارات، في حين تضمنت نسخة الستينيات ثوريين وراديكاليين، وسيطرت قائمة السبعينيات على المجرمين المنظمين والإرهابيين، وعلى الرغم من استمرار هذا التركيز، فإن القتلة المتسلسلين والمجرمين المرتبطين بالمخدرات يَكثرون في قوائم لاحقة. تتضمن قائمة «العشرة المطلوبين الهاربينُ» الأخير مَن يلي:

جاسون براون – مطلوب نتيجة جريمة قتل والسطو المسلح.

ياسر عبد السيد – مطلوب للمشاركة في جريمة قتل ابنتيه.

سانتياجو ميديروس – مطلوب لإطلاق النار على رجلين في حدثين منفصلين.

رفائيل كارو كونتيرو – مطلوب القبض عليه للمشاركة في جريمة قتل عميل خاص لل DEA.

جريج كارلسون - الاعتداء الجنسي المتسلسل.

لامونت ستيفنسون – مطلوب لقتل خطيبته وكلبها.

روبيرت فيشر – مطلوب لقتل زوجته وولديه وتفجير المنزل.

الجياندرو كاستيلو – مطلوب لقتل أحد زملائه في العمل.

الكسيس فلوريس – مطلوب لرحلة غير مشروعة لتجنب الاتهام بالاختطاف والقتل لفتاة تبلغ من العمر 5 سنوات.

بادريشكمار باتيل – مطلوب لقتل زوجته بينما كانا في العمل في مقهى دونت.

لمزيد من التفكير

1. قم بزيارة موقع مكتب التحقيقات الفدرالي وابحث عن "أرشيف العنوان: مسابقة العشرة الأوائل في برنامج العشرة الأوائل" وانظر كيف يمكنك الإجابة عن العديد من الأسئلة بشكل صحيح.

Source: Federal Bureau of Investigation, https://www.fbi.gov/wanted/topten.

سبيل المثال الإدانة البابوية لغاليليو لهرطقة في التشكيك في أوصاف الكتاب المقدس للأرض والأجرام السماوية. في المرحلة الميتافيزيقية، سعت الفلسفة إلى الأحداث العلمانية (الدنيوية) لتوفير الفهم من خلال روح جديدة من الاستقصاء - العقلانية والحجة المنطقية. جمعت سِمَتا المرحلة العلمية هذه الروحَ العقلانية للبحث المنهجي العلمي، مع التركيز على التجريبية أو التجريب. وركز التوجه العلمي على القياس والمراقبة والإثبات والتكرار (تكرار الملاحظة) والتحقق (تحليل صحة الملاحظات).

مكّن التطبيق المنهجي للمنهج العلمي الجنسَ البشري من فتح العديد من ألغاز العصور. في البداية، حدثت اختراقات للمعرفة؛ في العلوم الفيزيائية، ولاحقًا، بدأت التغييرات تحدث في العلوم الاجتماعية أيضًا، مثل علم الاجتماع وعلم الجريمة؛ لأن المنهج العلمي وفر فهمًا كبيرًا وقدرة على التنبؤ والتحكم في الواقع المادي، الأمل أن تكون هذه الأساليب نفسها قابلة للتطبيق وتثبت فائدتها في العلوم الاجتماعية. وعلى الرغم من أن الكثير ينظر إلى علم في الجريمة على أنه علم، فإن آخرين مثل سذرلاند وكريسي (1974) ينظرون إليه على أنه فن مشابه للطب، وهو مجال يعتمد على العديد من العلوم والتخصصات.

بدأ علم الجريمة -كمجال بحثي- في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر في كتابات الفلاسفة والأطباء وعلماء الفيزياء وعلماء الاجتماع . تمت صياغة الكثير من النظرية المبكرة في الأطر البيولوجية بشكل كبير والتي تم التخلي عنها إلى حد كبير من قبل علم الجريمة الأمريكي الحديث حتى وقت قريب. ظهر علم الجريمة مع القانون الجنائي في القرن الثامن عشر. في الواقع، كانت الكتابات الأولى لسيزار بيكاريا (1738-1794) وخصوصا

مقالته الشهيرة حول الجرائم والعقوبات (1963) التي نُشرت لأول مرة في عام (1764)، وأدت إلى إصلاح القانون الجنائي في أوروبا الغربية.

على الرغم من جذوره الأوروبية، حدثت معظم التطورات الرئيسة في علم الجريمة الحديث في الولايات المتحدة. وارتبط علم الجريمة ارتباطًا وثيقًا بتطور علم الاجتماع واكتسب مكانتها في المشهد الأكاديمي في الولايات المتحدة بين عامي (1920) و (1940). كان علم الجريمة إلى حد كبير مجالًا فرعيًا لعلم الاجتماع. وعلى الرغم من أن علم الجريمة متعدد التخصصات في التركيز، فقد كرس علماء الاجتماع أكبر قدر من الاهتمام لمسألة الإجرام. منذ الستينيات، ظهر علم الجريمة كنظام في حد ذاته، وكانت أقدم الكتب الدراسية الأمريكية في هذا المجال من تأليف موريس بارميلي، وجون جيلين، وفيليب بارسونز، وفريد هايز، لكن الكتب الدراسية والكتابات اللاحقة لإدوين هـ.سذرلاند، «عميد علم الجريمة» المعترف به، حظيت بأكبر قدر من التقدير.

التحقق من التعلم 1.1

حدد ما إذا كانت العبارات الآتية صحيحة أم خاطئة.

1. لقد عُني علم الجريمة -بشكل أساسي- بالتحقيق في مسارح الجريمة
2. بدأ علم الجريمة كحقل في أوروبا في أواخر السبعينيات.

الجريمة والإنحراف Crime and Deniance

يشير **الانحراف أو السلوك المنحرف** إلى مدى واسع من الأنشطة التي يراها الكثيرون في المجتمع غربيةً وخطيرة ... الخ. ويشير إلى سلوك خارجَ مدى التسامح المجتمعي العادي.

إن تعريفات الإنحراف مرتبطة بالزمن والمكان والأشخاص الذين يقيِّمون الانحراف، ويتم تعريف بعض الأفعال بشكل عام أكثر من غيرها. على سبيل المثال، في منتصف القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة، كان الاستحمام في حوض عملًا غير أخلاقي.

إن لكل المجتمعات قيمًا ثقافية. على سبيل المثال، على الرغم من الارتباط الثقافي في تعريف الانحراف، إلا أن علماء الانثروبيولوجيا حددوا عددًا من المسلمات الثقافية – «الممارسات أو التقاليد الموجودة في كل الثقافات المعروفة. وتحمي المجتمعات قيمَها بخلق معايير، وهي قواعد للسلوك.

الانحراف. السلوك الخارج عن حدود تسامح المجتمع

أنماط الأعراف لسومنر Sumner's Types of Norms

يحدد عالم الاجتماع الأمريكي جرهام سومنر (Sumner, 1906) في عمله القديم الأساليب الشعبية ثلاثة أنماط من **الأعراف**: الأساليب الشعبية (folkways)، العادات(mores) والقوانين (laws). تعكس المعايير قيم ثقافة معينة، وحيث إن بعض الأعراف تنظَّم من قبل أعضائها وتُرى أكثر أهمية من غيرها. **الطرق الشعبية** (Folkways) هي أقل الأعراف جدية وتشير إلى الأعراف والتقاليد والعادات أو التفاصيل الدقيقة التي يفضلها الناس ولكنها لا تخضع لعقوبات جدية: على سبيل المثال العادات وآداب السلوك وأنماط اللباس. عندما علم ريب تيفي (Tevye) في مسرحية Fiddler on the (Roof) الموسيقية أن ابنته رفضت الزواج من الرفيق الذي اختارها وسيط الزواج، قال: «التقليد - دون تقاليدنا، ستكون حياتنا هشة مثل. . . عازف على السطح». ومع إدراكه للأوقات المتغيرة أو الطرائق الشعبية، فإنه يقبل في النهاية قرار ابنته باختيار رفيقها. تشير **الأعراف** إلى العادات الأكثر جدية التي تنطوي على أحكام أخلاقية بالإضافة إلى العقوبات (أو المكافآت). وتغطي الأعراف الحظر المفروض على السلوكيات التي يُعتقد أنها تشكل تهديدًا خطيرًا لطريقة حياة الجماعة. من المؤكد أن أمثلتنا السابقة على الكذب والغش والسرقة والقتل مدرجة في الأعراف، ويُعَدّ كل من الطرائق الشعبية والأعراف أمثلة على الأساليب غير الرسمية للرقابة الاجتماعية، وهي من سمات الثقافات الصغيرة المتجانسة التي تتميز بتكنولوجيا بسيطة وإجماع واسع النطاق، وتمثل **القوانين** أنماطًا رسمية للسيطرة وقواعدِ السلوك المقننة إذا قبل الشخص أنموذج القانون، تمثل القوانين إضفاء الطابع المؤسسي أو بلورة الأعراف.

الأعـراف. قواعـد السلـوك المنصوصُ عليها.

الطـرق الشعبيـة. تقـاليد وعادات أو أعراف جميلة أو أقل جدية.

العـادات. ضوابط اجتمـاعية غير رسمية وأكثر جدية.

القوانـين. القواعـد المقننـة (المكتـوبة) التـي تُعَدّ أعرافًا أكثر جدية وتحوي عقوبات.

الأفعال السيئة كونها ممنوعة. الأفعال السيئة لأنها ممنوعة.

الأفعال السيئة بذاتها. الأفعال السيئة في حد ذاتها.

تقليـل التجريم. الاستخـدام النـاقص للقانـون الجنـائي للسيطرة على النشاط المنحرف.

الإفراط في التجريم. الإفـراط في استخـدام القانون الجنائي باعتباره محاولة للسيطرة على النشاط المنحرف.

مجتمع الحي الشعبي. مجتمع شعبي أو فولكلوري.

الأفعال السيئة بذاتها والأفعال المحظورة
Mala in se and Mala Prohibita

لقد حددنا بالفعل الأفعال المنحرفة التي تنتهك تلك التوقعات الجماعية والجريمة على أنها أيُّ فعل ينتهك القانون الجنائي. الجريمة وتعريفها منتجات اجتماعية. يقرر المجتمع (الجماعات البشرية) ما هو جريمة وما هو ليس كذلك.

يميِّز علماء الجريمة بين **الأفعال السيئة بحد ذاتها والأفعال المحظورة**. الأفعال السيئة كونها ممنوعة (mala prohibita) وتشير إلى الأفعال السيئة بحد ذاتها وهي سيئة ولذا تم حظرها. أي إن هذه الأفعال لا يُنظر إليها على أنها سيئة في حد ذاتها ولكنها انتهاكات للقانون؛ لأن القانون يعرّفها على هذا النحو، وقد تكون

مخالفات المرور والقمار ومخالفات القوانين البلدية المختلفة أمثلةً على ذلك. يُنظر إلى مثل هذه القوانين على أنها تساعد الحكومات في جعل حياة الإنسان أكثر نظامًا ويمكن التنبؤ بها، لكن العصيان يحمل وصمة عار قليلة بخلاف الغرامة، وقد يُنظر إلى تجريم مثل هذه الأفعال على أنه إضفاء للطابع المؤسسي على الطرائق الشعبية. من ناحية أخرى، **الأفعال السيئة في حد ذاتها (mala in se)** هي الأفعال السيئة في حد ذاتها، وهي سلوكيات مُحرَّمة يُتَّفَقُ عليها اجتماعيًا على نطاق واسع في التحريم. إن عالمية القوانين المناهضة للقتل والإغتصاب وبغض النظر عن النظم السياسية أو الاقتصادية، وما شابه ذلك، شاهد على عدم وجود صراع مجتمعي في مؤسسية هذه القوانين. ويمكن للمرء أن يلاَّحظ أنه ليست كل الأفعال المنحرفة إجرامية، ولا جميع الأفعال المجرَّمة منحرفة بالضرورة، على افتراض أن القوانين ضد العديد من الشرور تُنتهك عادة الأفعال المحظورة.

وقد تُظهر تعاريفَ النشاط الإجرامي كلًا من عدم التجريم والإفراط في التجريم. يشير **إبخاس عدم (Undercriminalization)** إلى حقيقة أن القانون الجنائي لا يحظر الأفعال التي يرى الكثيرون أنها سيئة في حد ذاتها. ومن الأمثلة على ذلك: عناصر عنف الشركات، والعنصرية، وعدم المساواة البنيوية، والخطأ المنهجي من قبل المسؤولين السياسيين. وينطوي **الإفراط في التجريم (Overcriminalization)** على التوسع الكبير في القانون الجنائي ليشمل الأفعال التي يتم إنفاذها بشكل غير لائق أو غير مسؤول من خلال هذه التدابير. ومن الأمثلة على ذلك: تشريعات الأخلاق ومحاولات تنظيم السلوك الشخصي الذي لا ينطوي على ضحية واضحة (تعاطي المخدرات، والسلوك الجنسي ..الخ).

مجتمع الحي الشعبي. مجتمع شعبي غير متجانس.

الوظيفة الظاهرة. نتائج مقصودة أو مخطط لها للترتيبات الاجتماعية.

الوظيفة الكامنة. نتائج غير مفسرة أو متوقعة (مخفية) للنشاط الاجتماعي.

الضرورة الوظيفية للجريمة. ترى نظرية دوركهايم أن المجتمع يعرُف نفسه من خلال رد الفعل للجريمة والمخالفات.

التغيير الاجتماعي وظهور القانون
Social Change and the Emergence of Low

لقد مرت المجتمعات الغربية بتطور طويل الأمد من المقدس أو المجتمع الشعبي إلى العلماني أو **مجتمع الحي الشعبي ,Becker, 1950, Toennies 1957.** مجتمع الحي الشعبي (Gemeinschaft) يشير إلى مجتمعات بسيطة، ومجتمعية، ومتجانسة نسبيًا، تفتقر إلى تقسيم واسع للعمل وتتميز بالإجماع المعياري.

يتم ضمان الرقابة الاجتماعية من قبل الأسرة، والقرابة الممتدة والمجتمع من خلال طرق غير رسمية للسيطرة: الفولكلور والعادات. تفتقر مثل هذه المجتمعات -ولا تحتاج- إلى قوانين مقننة رسميًا بسبب العرف المقدس. إن ضعف التغيير والتشابهَ الثقافي والعزلة ضمان لدرجة من الفهم و التحكم. وإن مجتمعات الحي الشعبي معقدة، وترابطية، وأكثر فردية، وغير متجانسة (تعددية). وتتميز بالعلمانية وبتقسيم واسع للعمل وفي

هذا (المجتمعات الحرة) تنوُّع في الآراء الأخلاقية وجماعات الضغط السياسي. تتم محاولة السيطرة الاجتماعية من خلال وسائل رسمية مقننةٍ تدار من قبل الوكالات البيروقراطية للدولة. ويجب أن تعتمد المجتمعات المعقدة أكثر فأكثر على مثل هذه الضوابط الرسمية؛ فعندما تضعف الأعراف أو الأنماط غير الرسمية للسيطرة تكون الحاجة إلى القوانين أكبر. على سبيل المثال، عندما تضعف الأسرة كعامل للرقابة الاجتماعية يتم نقل الكثير من مسؤوليتها إلى الدولة.

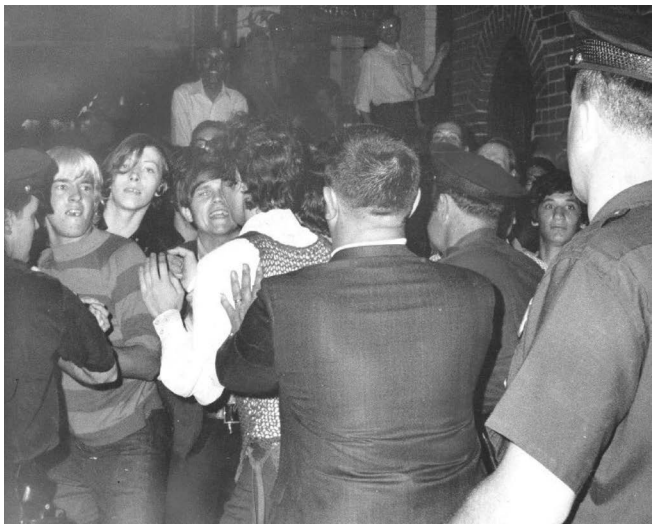

صورة 2.1

مداهمة الشرطة للحائط الحجري ونزولهم في شارع كريستوفر في قرية غرينتش في يونيو 28، 1969، يوضِح الافراط في تجـريم السلـــوك الجنس وكان السلوك السائد في ذلك الوقت.

اقترح سمنر (1906) مبدأً عامًّا: إذا كانت القوانين لا تدعم، أعراف ثقافة معينة أو لا تتفق معها، فإنها ستكون غير فعالة، يمكن استكشاف إدخال التغييرات أو القوانين الجديدة في المجتمع باستخدام مفاهيم ميرتون (1961) للوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة. المثال الكلاسيكي هو ما وُصف بـ «التجربة النبيلة» عصر الحظر في الولايات المتحدة. **الوظائف الظاهرة (Manifest functions)** هي النتائج المقصودة أو الـمُخطَّط لها أو المتوقعة للتغييرات المدخلة أو للترتيبات الاجتماعية القائمة. في الماضي لهثت القوة الدينية البروتستانتية الريفية في الولايات المتحدة، وتمكنت إحدى الكُتَل من الضغط على الكونجرس لتمرير التعديل الثامن عشر الذي يحظر تناول الكحول في عام 1919. كان تعاطي الكحول (ولا يزال) مشكلة رئيسة، وكان الهدف حسن النية: أن يتم القضاء على استخدامه من خلال الحظر التام لاستهلاك الكحول بموجب القانون. تستلزم **الوظائف الكامنة (Latent functions)** عواقب غير مقصودة أو غير متوقعة، تلك التي قد يكون لها نتائج إيجابية أو سلبية. لقد تضمنت الوظائف الكامنة للحظر زيادة الفساد والعصيان وعدمَ احترام الجمهور للقانون. ومن خلال القضاء على الموردين الشرعيين لسلعة عليها طلبها العام مرتفع، خلقت الدولة في الواقع احتكارًا لأصحاب المشاريع غير الشرعيين. كان الحظر هو الذي حوّل العصابات الصغيرة المحلية إلى عصابات إجرامية منظمة إقليمية بل ووطنية كبيرة وقوية وغنية.

القوانين ليست بأي حال من الأحوال أكثرَ الوسائل فعالية للرقابة الاجتماعية ؛ لأن تمرير المزيد من القوانين يشير إلى أن التضامن الاجتماعي والأنماط غير الرسمية للضبط في المجتمع ضعيفان؛ فتكون الشرطة ونظام العدالة الجنائية الوكلاء أو الوكالات آخر ملجأ. كثير من الناس ينظرون إلى الجريمة على أنها تدخل شرير في مجتمع يتمتع بصحة جيدة، في حين قد تكون مستويات الجريمة المتزايدة وظائف كامنةً لزيادة

الحرية والثراء والمنافسة، وغيرها من الوظائف الواضحة المرغوبة في المجتمع ولذلك؛ اقترح عالم الاجتماع إميل دوركهايم (1950) أن الجريمة قد تكون حالة طبيعية أو منتجًا إيجابيًّا أو ضرورة وظيفية في مجتمع صحي. كما ينعكس في الاقتباس الذي بدأنا به هذا الفصل، تقترح نظرية دوركهايم **الضرورة الوظيفية للجريمة (functional necessity of crime)** أن المخالفات أو الجريمة تعمل على إجبار أعضاء المجتمع على أن يتفاعلوا ويدينوا الجريمة وبالتالي فيرسموا بالوِلاءَ حدود المجتمع ويعيدوا تأكيد قيمه. وهذا الاستياء الـمُنظَّم هو الذي يدعم التضامن الاجتماعي.

إن عبارة «جريمة القرن» تُستخدم بشكل دائم للإشارة إلى اخر جريمة درامية، ويستكشف ملف الجريمة 1.2 الجرائم التي أُلصقت بها هذه الوصمة على مدار القرن الماضي.

التحقق من التعلم 2.1

أجب على الأسئلة الآتية للتأكد من تعلُّمك ما قدمناه حتى الآن.

1. ما هي الأنماط الثلاثة للأعراف؟
2. **صح/خطأ؟** الأفعال المحظورة أفعال ممنوعة لأنها سيئة بينما الأفعال السيئة لذاتها ممنوعة لأنها أفعال خاطئة تمامًا.
3. **أكمل الفراغ:** ---------- مجتمعات معقدة، وفردية ومتنوعة.

أنموذج القانون الإجماعي مقابل أنموذج الصراع مقابل الأنموذج التفاعلي
Consensus Versus Conflict Versus Interactionist Model of Law

يتصور **أنموذج الإجماع (Consensus model)** أصل القانون الجنائي أنه ناشئ عن اتفاق بين أعضاء المجتمع على ما هو خطأ. وانعكاسًا لنظرية العقد الاجتماعي للوك وهوبز وروسو، يُنظر إلى القانون الجنائي -كما في مناقشتنا السابقة لسومنر- على أنه «تبلور للأعراف» يعكس القيم الاجتماعية الشائعة داخل المجتمع. من ناحية أخرى، يرى **أنموذج الصراع (conflict model)** أن القانون الجنائي ناشئ عن تضارب مصالح الجماعات المختلفة. ومن وجهة النظر هذه، يُفترض أن تعريف الجريمة يعكس رغبات الجماعة الأقوى مجموعات، والتي تحصل على مساعدة الدولة في معارضة الجماعات المتنافسة، إذ يستخدم القانون الجنائي في المقام الأول للسيطرة على سلوك «المعيب، والتابع، والمنحرف» للطبقات الخطرة (Skolnick & Currie, 1988, p. 2) وفي كثير من الأحيان لا يتم تغطية جرائم الأثرياء. ينظر أنموذج الإجماع إلى القانون الجنائي باعتباره آلية للرقابة الاجتماعية، وينظر أنموذج الصراع إلى القانون على أنه وسيلة للحفاظ على الوضع الراهن نيابة عن الأقوياء.

النموذج الثالث للقانون هو **النموذج التفاعلي (interactionist model)** الذي أخذ اسمه من المدرسة التفاعلية الرمزية لعلم الجريمة. تنظر هذه المدرسة من الفكر إلى البشر على أنهم يستجيبون للمعاني والرموز المجردة بالإضافة إلى المعاني الملموسة. ووفقًا لجورج هربرت ميد (1934)، فالعقل والوعي الذاتي إبداعات اجتماعية. وانعكاسًا لنظرية الوصم (انظر الفصل 8) يُنظر إلى الجريمة على أنها علامة أو وصمة عار مرتبطةٌ

برد فعل مجتمعي يخضع لتغيير المعايير، ويُنظر إلى القوانين على أنها تعكس روح المبادرة الأخلاقية من جانب وصمين (من يقوم بالوصم).

الجريمة والقانون الجنائي Crime and Criminal Law

إن النظرة القانونية الخالصة للجريمة ستعرّفها على أنها: انتهاك للقانون الجنائي مهما كانت ولو عملًا أخلاقيًّا فهي عمل شائن أو غير مقبول، ولا يُعد جريمة ما لم يتم تعريفه على هذا النحو من قبل القانون الجنائي. يشير فيرنون وفوكس (1985) إلى أن "الجريمة حدث اجتماعي سياسي وليس حالة طبية. . . . ليس حالة سريرية أو طبية يمكن تشخيصها وعلاجها على وجه التحديد" (ص28). في هذا الرأي -وهو صحيح من الناحية الفنية- ما لم يكن الفعل محظورًا بشكل مُحدَّد بموجب القانون الجنائي، فإنه لا يُعد جريمة. للقانون الجنائي أربع خصائص:

1. يُقترَح (القانون) من قبل السلطة السياسية، وتتولى الدولة دور المدعي أو الطرف في توجيه الاتهامات. على سبيل المثال: القتل لا يعد مجرد جريمة ضد شخص بل هو جريمة ضد الدولة أيضًا. في الواقع، تحظر الدولة الانتقام الفردي في مثل هذه الأمور، ويجب أن يدفع الجناة ديونهم للمجتمع، وليس للفرد المظلوم.
2. يجب أن يكون (القانون) محددًا، ويحدد كلًّا من الجريمة والعقوبة المقررة.
3. يتم تطبيق القانون بشكل موحد. هذه هي، المساواة في العقوبة والإنصاف للجميع، بغض النظر عن الموقف الاجتماعي، المقصود.
4. يحوي القانون عقوبات جزائية تُنفَّذ ويُدار من خلال الدولة (Sutherland & Cressey, 1974, PP 4-7).

أنموذج الإجماع. الاعتقاد أن القانون الجنائي ينشأ عن إرادة الأغلبية.

أنموذج الصراع. الاعتقاد أن القانون الجنائي يعكس تضارب مصالح الجماعات وأن الجماعات الأقوى تحدد القانون.

الأنموذج التفاعلي. يقول إنه يتم تعريف الجريمة بالمعاني المجردة والرموز ويتم إلصاق الوصم بها من المجتمع.